اسم المصدر: الرياض / ملحق خاص

التاريـــخ: 01-04-2009 رقم العـدد: 14891 رقم الصفحة: 11 مسلسـل: 72 رقم القصاصة: 1

ملك العروبة وعروبة المنطقة

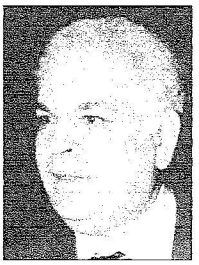

منح الصلح

لا شك أن ما حصل أخيرا انطلاقا من الملك عبدالله وهو إنشاء صيغة تلاق عربي يضم السعودية ومصر وسوريا والكويت جاء إشارة موجهة الى العالم كله بما فيه الولايات المتحدة مؤداها أن العرب موجودون ومتفاهمون في ما بينهم وأن بوسع كل من يريد أن يخطو خطوة باتجاههم أن يمد اليد اليهم.

■ لعل سيد الجزيرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز كان الأوضح دائما ايمانا ونصا وتطبيقا للمبدأ القائل ان عروبة المنطقة ينبغي أن تستمر في عيون أبنائها أغلى ما يتمسكون به ففيها الصمود والقوة والعصمة عن الخطأ. انها ضرورة ومبعث عزة في كل مكان وزمان.

من هذه الزاوية فهم الناس على سبيل المثال حرص خادم الحرمين على اعادة تفعيل الرابطة المؤسساتية التي كانت قائمة في الماضي بين كل من مصر والمملكة العربية السعودية وسوريا مضافا اليها هذه المرة الكويت. ذلك أنه قد ثبت أن جامعة الدول العربية لا تكفي وحدها في حالتها الحاضرة لتلبية كل متطلبات التنبه والاحتياط لمخاطر الحوار مع اسرائيل. ولو لم يكن في ذلك الا تذكير النفس بان اسرائيل خطر دائم ومستمر على كل عربي لظل ضرورة لتنبيه الأمة على ما يبيته الآخرون لها وفي كل بقعة من بقاعها.

وأنه لذكاء سياسي يبرهن عنه الرئيس الأميركي بارك أوباما فيما نقلته عنه وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون من أنه ينوي المجيء الى تركيا ومن المحتمل أن يزور العراق فهي خطوة ان تأكدت صحتها دلت على أن الرئيس الأميركي الأسمر هو بالفعل ما حدثت به عنه وسائل الإعلام من انه عارف أهمية العراق وبالتالي سوف يبدأ مع العراق على الأقل في ما يخص مصالح الولايات في هذه المنطقة العربية الأسلامية وهي كثيرة وحيوية.

منذ اللحظة التي كان أوباما قد أصبح فيها من المرشحين البارزين لرئاسة الجمهورية وهو ابن البيئة ذات الخصوصية العرقية والعمرية والثقافية المميزة له عن سائر المسترسين توقع الناس أن تكون زيارته الى هذا البلد من بلدان العالم او ذاك مؤشرا على توجهات الدولة الأقوى في العالم وكان مجرد الحدس بأن زيارته ستكون الى بلد عربي وليس مسلم غير عربي او غير ذلك من الأقطار العربية مؤشرا لوجود تصور في أوساط كثيرة في العالم بأن المنطقة العربية ستكون بالتأكيد من المناطق الأكثر جذبا للاهتمام باعتبارها الأكثر تأثرا وتأثيرا في العالم الثالث وبالتالي فالسياسية الرشيدة نحوها من الدول الكبرى سوف تعطي ثمارا كثيرة. ومن حق العرب أن يسجلوا ذلك في خانة أهمية أوطانهم وثقافتها وحقها وليس ما تحت أرضها من الثروات فقط. ولعل أوباما الرئيس الأميركي الجديد الآخذ بهذا التوجه الأسبق لا في معرفة معالم اميركا الاقتصادية والسياسية فقط بل خاصة في صدق حدسه بالتوجهات الأكثر شمولية في التاريخ.

في مرحلة سابقة من حياة العرب لمع فيها من أهل السياسة في لبنان كميل شمعون والاتاسون في سوريا والعرش الهاشمي في الأردن وكان العراق الملكي قد اتخذ دورا قطبيا في سياسة المنطقة ان لم يكن موازيا في الاهمية والقدرة على الحسم للدور المصري السعودي الراسخ في قيادة المنطقة فانه بالتاكيد ظل المنافس النشط له على الزعامة. وذلك انه في استراتجية المنطقة ظل مسبوقا منذ ذلك الزمان وربما قبله أيضا حيث سبقه حلف من اثنين هما مصر والمملكة العربية السعودية فهاتان كانتا قد وصلتا الى ان تكونا القوتين الرئيسيتين في المنطقة، منذ كان لهما الفضل التاريخي في تأسيس جامعة الدول العربية وإسناد أمانتها العامة للمصري الكبير صديق المملكة العربية عبدالرحمن عزام.

لم يكن العراق يوما منذ أن كان حتى الآن قطرا عربيا قابلا للتهميش بل كثيرة هي مراحل التاريخ التي كان فيها صاحب الدور الريادي في المنطقة موحيا بجنة عدن الموصوفة في الكتب المقدسة المرسومة كما يقول المستشرقون كأرض الرافدين التي تجري فيها الأنهار. فالزائرون للمتحف العراقي في بغداد منذ أكمل له عدته العراقي الكبير في زمانه ناجي الاصيل الذي كان ولا يزال ينافس في قدم محتوياته ودلالاتها المتحف المصري أصبحوا شاهدين على حق القطرين بالاعتزاز بهما من كل عربي ومسلم ومسيحي وآسيوي. انه من أرض النيل وأرض السواد بدأ التراكم المتصاعد في الحضارة الانسانية، ولكن الماضي المجيد لا يكفي دائما لتسهيل الطريق لارض الحاضر.

فبلاد الرافدين التي رسمت الكتب الدينية الجنة كما يقول أهل الاختصاص على صورتها ومثالها تعاني اليوم صعوبات في محاولة استرداد حياتها الطبيعية.

ومن الامور التي تسجل لأوباما أنه بعد تحليل لوقائع السياسة والاقتصاد والإجتماع قام به هو او أحد معاونيه من أهل السياسة والاكاديمية من الاميركيين وصل على ما يقال الى نتيجة هي البدء باصلاح الحال في العراق المعافى وقد نجح الاميركيون حتى الآن في أن يسجلوا تقدما في العراق. واذا كان أوباما الآن يتحدث باحتمال سفره الى العراق فلانه يعرف ان هناك شبه نجاح للسياسة الاميركية. وهذا النجاح النسبي في بلد عربي كان هاما ويمكن ان يعود كذلك أكثر وأثمن مردودا من أن يهمل.

هل يكون أوباما مشدودا الى تكثيف اهتمامه بالبلدان العربية ومنها لبنان؟

سؤال مجرد طرحه يتضمن افراطا في التفاؤل ولكنه تفاؤل لا تجد السياسة الأميركية مناصا من المضي في تشجيعه ولا سيما على لسان رئيس أميركي شاب لا يليق به أن يعلن احباطه خاصة أن الحكام العرب لا يمكنهم اعلان يأسهم من العراق فاليأس من أحد أهم أقطار العرب عطاء لايران التي كانت ولا تزال قد جعلت من هجومها على الولايات المتحدة جزءا من عملية اثبات الوجود في وجه تيارات معادية لها في المنطقة وعلى الصعيد الأممي والعالمي.

اسم المصدر: الرياض / ملحق خاص

التاريـــخ: 01-04-2009 رقم العـدد: 14891 رقم الصفحة: 11 مسلسـل: 72 رقم القصاصة: 2

ان ايران كانت منذ الخميني ولا تزال تطرح نفسها على أنها قدوة بينما أميركا تطرح نفسها في كل مكان على أنها البديل الواقي والمنافس الوحيد للثورات.

الشيء المرجح في تطور النهج الذي تتبعه سياسة الرئيس أوباما أنها لن تكون في ما يتعلق بهذه المنطقة من العالم محكومة بأولوية مراعاة السياسة الايرانية بقدر ما تشير تصريحاته الأخيرة عن ضرورة الاهتمام بالعراق كجزء من الهوية الأساسية للمنطقة وهي العروبة. فالولايات المتحدة أدركت وتدرك كل يوم أكثر فأكثر الأهمية الخاصة للعنصر العربي الأكثر أهمية في المنطقة. فمنذ مبادرة لقاء الأديان للملك عبدالله التي أطلقها في الولايات المتحدة الأميركية والادراك الرئاسي الأميركي عند أوباما ملتقت للعرب أكثر من التفاته الى غيرهم من ممثلي هوية المنطقة وهذا ما بدأ يظهر في سياسة البيت الأبيض مجسدة بأوباما في سياسته القائمة على التقرب من العرب بصورة غير مباشرة تجسدها اليوم السياسة الأميركية الخاصة بأوباما التي يبدو أنها شيئا فشيئا تأخذ أكثر فأكثر بحكمة التوجه المباشر في التعامل مع عروبة المنطقة بعد تأكد عدم امكان ارتجال بديل لها.

لا شك أن ما حصل أخيرا انطلاقا من الملك عبدالله وهو انشاء صيغة تلاق عربي يضم السعودية ومصر وسوريا والكويت جاء اشارة موجهة الى العالم كله بما فيه الولايات المتحدة مؤداها أن العرب موجودون ومتفاهمون في ما بينهم وأن بوسع كل من يريد أن يخطو خطوة باتجاههم أن يمد اليد اليهم وخاصة الى عروبة المنطقة كمنطقة، فالعرب جاهزون للتعامل مع أوباما وغير أوباما من القادة باتجاه عالم متعاون أصبحت شعوب الكرة الأرضية كلها بحاجة اليه لتتعقل العلاقات الدولية ويتعامل الراغبون في عالم متعاون يكون أول المستفيد منه واشنطن جديدة وشابة وموضوعية على غرار رئيسها تعرف جيدا أن لا بديل في طلب التقدم الجدي في العلاقات الداخلية ضمن البلدات أو فيما بينها عن سياسة توسيع الطرابيش بدلا من كسر الرؤوس.

والقيادات الشابة التي تحكم أميركا اليوم وعلى رأسها أوباما مدعوة الى حث المسار باتجاه عالم واحد يقوم بالتراضي ولا طريق بديل في الوصول اليه غير التواصل.

هذا وقد اقتضت الأزمة الداخلية في لبنان أن تقوم عدة مؤتمرات في عدة بلدان عربية سواء في السعودية أو قطر أو الكويت حتى تستقيم وحدة لبنان وتتماسك ذاته الوطنية الواحدة.

لكأن ذلك كله يعطي مؤشرات متنامية على أن كل تطبيع جدي للعلاقات داخل القطر العربي الواحد أو بين الأقطار أو مع الدول المحتاجة لكي تتقدم بشكل سليم الى عمليات ناشطة داخل الدائرة الذاتية في كل وطن وعلى المستوى العربي الواسع لكي يأخذها الخارج الدولي الأميركي وغير الأميركي والعالمان العربي والاسلامي مأخذ الجد فيسري هكذا الدم داخل شرايين الوطن الواحد سواء لبنان أو فلسطين أو غيرهما وهكذا يكون القاصي والداني في دنيا العرب أو خارجها قد أخذ علما بأن التماسك داخل كل قطر والتعامل الدولي السليم مع أي قطر عربي انما يحتاجان كلاهما الى أن يؤكد كل وطن سلامة عروبته فهي التي تشدّ فيه عروق الوحدة.

الوحدة في الداخل تغري الخارج الدولي بالتعامل الجدي معه. وها هو لبنان بالذات مع وصول أوباما الى المركز الأميركي الأول يدرك أن سلامة عروبته الداخلية والخارجية هي مصدر قوة له في عيون أبنائه وأخوته العرب وأصحاب القسط الأكبر في القرار الدولي وأولهم الولايات المتحدة التي تقوى فيها مع الأيام المجامع والاتجاهات السياسية الجادة التي تعرف أن أولى الدول بالتعامل الجدي معها في هذه البقعة العربية من العالم هي تلك التي تخدم نفسها وتدعم استقلالها بعروبتها الساهرة في عالم بات يقيم للاسلام والعروبة والمسيحية العربية ما لم يكن يقيمه لها جميعا في عصر الاستعمار الأوروبي. ولعل وصول أوباما الى رئاسة الجمهورية دليل على نضج أميركي في طريقة التعامل مع الدول الشرقية ومنها هذا القطر العربي الصغير للغاية الصامد في وجه اسرائيل والقائل منذ العام ١٩٤٣ بأنه أي لبنان وطن ذو وجه عربي بمعنى الذات والدور، يستسيغ الخير النافع من حضارة الغرب ولا يتصور نفسه في أي حال ممرا أو مقرا لأي دولة أجنبية تريد شرا به أو بأخوانه العرب لا سيما بعد قيام اسرائيل ذات المصلحة الدائمة والمشبوهة بافساد علاقات لبنان والعالم العربي مع الغرب الذي لا يزال فيه الكثيرون مع الأسف من الغيورين على اسرائيل ولو بثمن الأضرار بلبنان المستقل الحائك التاريخي في منطقته العربية لروابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة كما سمّاه المرحوم أحد شعرائه الياس أبو شبكة في كتابه الذي صدر في زمن الانتداب وأعيد طبعه في عهد الاستقلال.

ولا بد من الاضافة أنه منذ خرج لبنان من عهد الضياع في عهد الرئيس ميشال سليمان، وحكومة فؤاد السنيورة وخيار لبنان العربي نقطة جذب للتأييدات الدولية له بعد فترة صعبة وقصيرة كاد فيها اللون الايراني يلوّنه في نظر العالم متسببا له بالعزلة، ولكن سرعان ما تدرع مخلصا لجذوره بعروبته ضد أخطار العزلة الضيقة أو الذوبان في الدولية الفضفاضة، فاعتمد اللبنانية والعروبة علامتين لجديته ومعرفة لمصلحة ما يساهم في وضعه في منطقة الطمأنينة.

ولا يسوّغ مبادرته الى تأهيل ذاته على أساس هاتين القاعدتين، الا تشبث اخوانه العرب في التعاطف معه. ولا شك أن مبادرات عربية ومنها سعودية وكويتية ومصرية وقطرية عاونته على الصمود وقد فشلت المحاولات الهادفة الى عجمنة لبنان أو انعزاله أو فرنجته. فقد ثبت أن عروبته هي دوره الطبيعي وحصانته في الوقت نفسه.